القَاضِي شُرَيْحُ الكِنْدِيّ
صَاحِبُ الفِطنَةِ وَالذَّكَاءِ
وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالقَضَاءِ

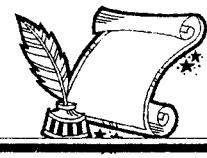

# مع القاضى شُرَيْح

هو الفقيه أبو أمية ، شُرَيح بن الحارث الكِندى قاضى الكوفة .

أسلم فى حياة النبى ﷺ ، وانتقل من اليمن زمن الصّديق رضي الله عنه .

قيل لشريح ذات يوم : مِمّن أنت ؟

فقال : ممن أنعم الله عليهم بالإسلام ، وعِدادى[1] فى كندة .

وعن ابن سيرين قال : أدركت «الكوفة» وبها أربعة ممن يُعَد فى الفقه .

وقال الشعبى : كان شريح أعلمهم بالقضاء .

ولاّه عمرُ - رضي الله عنه - القضاء ، وله أربعون سنة .

ويقول هو عن نفسه :

وُلِّيتُ القضاء لعمر ، وعثمان، وعلى ، فمن بعدهم

إلى أن استعفيت من الحَجّاج !

وكان له يوم أعفاه الحجاج مئة وعشرون سنة ، وعاش بعدها سنة .

وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ، ومعرفة وعقل وإصابة .

ويقول ابن عبد البر : كان شاعرا محسنا ، وقاضيا له

(١) أعد من قبيلة كِندة ، وانتسب إليها .

مكانته عند الخلفاء ، ومما يدل على مكانته أن على بن أبى طالب - رضي الله عنه - الذى ضرب به المثل فى حُسْن القضاء ، فكان يقال : «قضيةٌ ولاَ أَبَاَ حَسَنَ لها» - جمع الناَس فى الرحبة ، وقال : إنى مفارقكم ، فاجتمَعوا فى الرحبة ، فجعلوا يسألون حتى نَفِدَ ما عندهم ، ولم يبق إلا شريح ، فجثا على ركبتيه ، وجعل يسأله ، فقال له على : اذهب فأنت أقضى العرب !

وعن ابن سيرين : كان إذا قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وشطر الناس علىّ غضاب!

وعن الشعبى قال :

قال شريح : إنى لأُصَابُ بالمصيبة فأحمدُ الله عليها أربع مرات :

- أحمدُه إذْ لم يكن أعظم منها .
- وأحمده إذْ رزقنى الصبرَ عليها .
- وأحمده إذْ وفقنى للاسترجاع[1] لما أرجو من الثواب .
- وأحمده إذْ لم يجعلها فى دينى[2] !

ويقال : إنه كان لشريح بيت يخلو فيه يوم الجمعة، لا يدرى الناس ما يصنع فيه !

فتعال نصاحب الفطنة والذكاء ، وأعلم الناس بالقضاء .

---

(١) الاسترجاع عند المصيبة : أن يقول : « إنّا لله وإنا إليه راجعون » . وذلك دليل الرضا ، والصبر، والتسليم .

(٢) فكل مصيبة فى غير الدين تهون .

عن الشعبى قال : قال لى شريح :

وعليك يا شعبىّ بنساء بنى تميم ، قال : وأخبرنى أنه تزوج امرأة منهم . قال :

فأقسمتُ على أهلها بعد تمام العقد أن لا تبيت إلا عندى فقالوا : اللهم غَفْراً [1]!! نريد أن نَجْلُوَها [2] ونهيئها لك ! فقلت: حَسْبى [3] ما رأيت ، وقد كنت رأيتها قبل نكاحها ، فهيَّئوها ، ثم زفوها إلىّ من ليلتهم ، فأقبلت إلىّ مع النساء ، فلما وقفت بباب الحجرة ، واستخفى [4] تلك النساء منها ، دخلت البيت [5]، فقمت إليها ، فقلت :

أيتها المرأة ، إن من السنة إذا دخلتِ المرأةُ على زوجها أن يقوم الزوج فيصلى ، وتصلى خلفه ، ويسألان الله تعالى خيرَ ليلتهما ، ويتعوذَان اللّهَ من شرها !

ثم تقدمت إلى الصلاة ، فإذا هى خلفى ، فصليت، ثم انقلبت فإذا هى على فراشها ، فأخذت بناصيتها فدعوت ، وبرّكت ، ثم مددت يدى فقالت : على رِسْلِك !

ثم قالت : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأومِنُ به ، وأتوكل عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : : فإنى امرأة غريبة ، وأنت رجل لا أعرف أخلاقَك ؛ فأخبرنى بما تحب فآتيه ، وبما تكره فأجتنبه !

---

(١) يقال: غفر الشيء : ستر – غفراً – بفتح الغين ، وغفرانا بضمها ، ومغفرة .
(٢) نزينها ونعدها . (٣) يكفيني .
(٤) تركنها ، وبعدن عنها . (٥) مكان المبيت .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولك !

قال : فوجدت نفسى - ياشعبى - أخطب فى هذا المقام ، فقلت : الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : فإنك قَدِمْتِ خيرَ مقْدَم على أهل دارٍ ، زوجُك خيرُ رجالهم ، وأنت - إن شاء الله - خيرُ نسائهم !

أُحِبُّ كذا ، وأكره كذا . قالت :

فأخبرنى عن أختانك «أقاربى» أتحب أن يزوروك؟

قال : فقلت : إننى رجل قاض ، فأكره أن يَملّونى ، فبت بخير ليلة وأصبحت ، فأقمت عندها ثلاثا ، ثم خرجت إلى مجلس القضاء ، فلبثت فيه حَوْلاً ، لا أرى فيه يوما إلا وهو أحب إلىّ من الذى قبله !

فلما كان عند رأس السنة ، انصرفت من مجلس القضاء إلى منزلى ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى ، فقالت :

كيف أنت يا أبا أمية ؟

فقلت : ومن أنت ؟

فقالت : ختَنَتُك [1].

فقلت : حَيّاكِ الله بالسلام ، إنى بخير وعافية عافاكِ الله !

قالت : كيف رأيت صاحبتك ؟

قلت : خير امرأة .

---

(١) حماتك . والختن - بفتح الخاء والتاء - كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذا زوج البنت ، وزوج الأخت .

قـالت : إن المرأة لا تكون فى حـالٍ أسوأ خُلُقًـا منهـا فى حالتين :

- إذا حَظِيَتْ عند زوجها !
- وإذا ولدت غلاماً !!

فإن رأيت منها شيئا ، فالسوط ، فإن الرجال ما حازت شيئا إلى بيوتها شرّا من الورهاء [1] المدلَّلة .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتِنى الرياضة [2] ، وأحسنت السياسة والأدب .

قال : فكانت تأتى فى كل سنة توصى بهذه الوصية التامة ، ثم تنصرف ، فذلك حيث أقول :

إذا زيـنـبٌ زارَهـا أهـلـهُـــــــا
حَـــشَـــدَت ، وأكـــرمت زُوّارَهـا
وإنْ هـى زارتـهـم زُرْتُـهـــــــا
وإن لَـم أكـن آتِـهَـــــــا دارَهَـا

قال : فأقامت عندى عشرين سنة ، ما غضبت عليها يوما قط ، ولا ليلةً إلا كنت لها ظالما ؛ وذلك أنى كنت إمامَ قَومى ، فصليت ركعتى الفجر ، فأبصرت فى الدار «عقرباً» ، فأعجلنى المؤذن عن قتلها ، فكفأت عليها إناءً ، وأمرتُها أن لا ترفعه حتى أرجع ، فجئت فوجدتُها قد رفعته ، فضربَتْها العقرب، فلو رأيتنى يا شعبىّ ، وأنا أستخرج الدم من إصبعها ، وأقرأ عليها فاتحة الكتاب والمعوِّذتَين !!

قال : وكان لى جار من كِندة لا يزال يضرب امرأته ، فذلك حيث أقول :

---

(١) الحمقاء .
(٢) ترويضها وتأديبها .

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم

فـشُلّت يمينى حين أضـربُ زينبـاَ !

أأضربُها من غير جُرْمٍ أتت به

إلىّ ، فـمـا عـذرى إذْ كنتُ مـذنبـا ؟!

فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ

إذا طلعَت لم يَبْـدُ منهن كـوكـبـا

وماتت فوالله لقد بغضت إلىّ الحياة ، وأفسدت علىّ النساء، فوددت أنى تبعتُها !

## أول الجَوْر

وروى أن «علىّ بنَ أبى طالب» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - دخل مع خـصمٍ له ذِمِّىّ [1] إلى القاضى شريح ، فقام له .

فقال على : هذا أول جَوْرِك !

ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال :

أمَا إن خصمى لو كان ذميًّا لجلست بجنبه !

وهكذا وضع المسلمون الأوائل أسس العدالة !

فالناس سواء أمام القضاء وللذّمّى مالنا ، وعليه ما علينا ، فما بالنا بمن كان مسلماً ؟!

## أنت من أفضل الناس

وروى أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : اجمعوا إلىّ القُرّاء ، فاجتمعوا فى رحَبَة المسجد فقال : إنى أوشك أن أفارقكم ؛ فجعل يسألهم : ما تقولون فى كذا ؟ ما تقولون فى كذا ؟ وشُرَيح ساكت!

(١) من بيننا وبينه عهد من أهل الكتاب . والجَوْر : الظلم .

ثم سأله ، فلما فرغ منه قال [1] :

**اذهب فأنت من أفضل الناس أو من أفضل العرب ! وهكذا يحكم لشريح أقْضَى الصحابة : الخليفة الذى كان يقضى في العويص من القضايا حتى قيل فيه : « قضية ولا أباحَسَنٍ لها » .**

## المُسْتَشَارُ مُؤتَمن

يُرْوَى أن زياد بن أبيه - وكان جبارا فى الأرض - كتب إلى معاوية : يا أميرَ المؤمنين ؛ قد ضبطت لك العراق بشمالى ، وفرَّغْت يمينى لطاعتك ، فوَلِّنى الحجاز !

فبلغ ذلك عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - وكان مقيما بمكة ، فقال : اللهمّ اشغَل عَنّا يمينَ زياد !

فأصابه الطاعون فى يمينه ! ، فجمع الأطباء واستشارهم فأشاروا عليه بقطعها !

فاستدعى القاضى شُريحاً ، وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال له :

لك رزق معلوم ، وأجل محتوم ، وإنى أكره إن كانت لك مدة أن تعيش فى الدنيا بلا يمين !

وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد ، فإذا قال لك سائلا : لم قطعتها ؟

قلت : بُغضًا فى لقائك ، وفرارًا من قضائك !

فمات زياد من يومه !

فلام الناسُ شريحا على منعه من القطع ، لبغضهم له !

---

(١) بعد أن تبين له الفرق بين شريح وغيره .

فقال : إنه استشارنى ، والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة فى المشورة لَوَدِدْتُ أنه قطع يده يوما ، ورجله يوما ، وسائر جسده يوما فيوما !

## لقد أقررتَ على نفسك

أقر رجل عند شريح بشىء ، ثم ذهب لينكر ، فقال له شريح : قد شهد عليك ابنُ أخت خالتك !

يعنى أنك أقررت على نفسك !

## لبن طيب وعلف مجان

كان شريح رجلا فكَها ، حلوالدعابة ، سريع البديهة .

اشترى رجل من رجل شاةً ، فإذا هى تأكل الدّبَى [1]! فخاصمه إلى شُريح فقال : لبن طيب وعلف مجان !

## ذل اللؤم ، وذل الرّدّ !

كان شريح يقول : مَن سأل حاجةً ؛ فقد عرض نفسه على الرِّقّ!

فإن قضاها المسئول ؛ فقد استعبده [2] بها !

وإن ردّه عنها ، رجع حُرًا ، وهما ذليلان :

هذا بذُلِّ اللؤم ، وذاك بذل الرَّدِّ !

والإنسان - كما يقولون - : «عبد الإحسان» وقد قال الشاعر :

أَحسن إلي الناسِ تَسْتَعْبِدْ قلوبهم

فطالما استعبَدَ الإنسانَ إحسانُ

---

(١) الدّبى : الجراد قبل أن يطير ، أو أصغر ما يكون الجراد ..

(٢) الرق : العبودية ، والإنسان - كما يقولون - عبد الإحسان .

## صاحب تعريض !

كان شريح عند زياد - وهو مريض ، فلما خرج من عنده ، أرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولا ، وقال : كيف تركت الأمير ؟

فقال : تركته يأمر وينهى .

قال مسروق : إنه «صاحب تعريض» [1] ، فارجع إليه واسأله: ما يأمر ؟ وما ينهى ؟

قال : يأمر بالوصية ، وينهى عن النّوْح !

## الأمين على السِّر

جاء رجل إلى شُريح ، فكلمه بشيء ، وأخفاه ، فلما قام، قال له رجل : يا أبا أميّة ، ما قال لك ؟

فقال له شريح : يابن أخى ، أوَ مَا رأيتَه أسَرّه منك ؟

فإلى الذين يحشرون أنوفهم لمعرفة أسرار الناس ، وخباياهم نهدى قول شريح : أوما رأيته أسَرّه منك ؟!

## صبر جميل

مات ابن شريح ، فلم يشعر بموته أحد ، ولم تصرخ عليه صارخة ! فقيل له : يا أبا أمية ؛ كيف أمسى ابنك ؟

فقال : سكن عَلَزُه «كربه وقلقه واضطرابه» .

وما كان منذ اشتكى أسكنَ منه الليلة !

---

(١) التعريض : عدم التصريح بالشئ والكناية عنه ، والتعبير عنه عن طريق الرمز ، وبطريق غير مباشر .

● كيف أصبحت ؟

كان شريح إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا أمية؟!

قال : أصبحت ونصف الناس علىَّ غِضاب !

وهكذا شأن من يقول الحق ، ولاتأخذه في الله لومة لائم ، وخير شاهد على هذا قول الإمام علي - رضي الله عنه . «إن قول الحق لم يَدَعْ لي صَديقاً».

## بكاء المرأة

حكى عن الشعبى أنه قال : شهدت شريحا ، وجاءته امرأة تخاصم زوجها ، فأرسلت عينيها ، فبكت ! فقلت : يا أبا أمية ، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة !

فقال : يا شعبى إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاء يبكون [1] ، وهم ظالمون ! وتأييدًا لهذا يقول أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز:

إذا أتاك الخصم ، وقد فُقِئت عينه ، فلا تحكم له حتى يأتى خصمه ، فلعله فقئت عيناه جميعا !

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى معاوية : إذا تقدم الخصمان ، فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وإدناء «تقريب» الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه .

وتعاهَد الغريب ، فإنك إن لم تتعاهده سقط حقه، ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به !

وآسِ بين الناس فى لحظك وطَرْفك .

---

(١) إشارة إلي ما جاء في الآية الكريمة رقم ١٩ من سورة يوسف ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ .

وعليك بالصلح بينهم مالم يتبين لك فصل القضاء!

وهكذا أقام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز صَرْح العدل ؛ فلا غرابة إذا كان خامس الراشدين !

## سلطة القاضى

قال شريح : إنا لا نعيب الشهود ، ولا نلقّن الخصوم ، ولم نسلّط على أشعاركم وأبشاركم [1] ، إنما نقضى بينكم ، فمن سلّم لقضائنا فبِها ، ومَنْ لا ، أمرنا به إلى السجن .

وهكذا كان شريح يعرف للناس حقوقهم قبل أن تكون هناك جمعيات لحقوق الإنسان .

## حيلة بارعة

تقدم إلى شريح قوم فقالوا :

إن هذا خطب إلينا ، فقلنا له : ما تبيع ؟

قال : أبيع الدواب ، فزوجناه ، فإذا هو يبيع السنانير «القطط - جمع سِنّوْر» .

فقال : شريح : أفلا قلتم له : أى الدواب من الدواب ؟!

إن السنانير دواب ، وأجاز النكاح .

لقد سبق شريح عصره؛ فجاءت أحكامه نموذجا يُحْتَذَى ، ومرجعاً للقضاة بعد عصره ومنارةً يهتدي بها الباحثون عن الحق والعدل !

---

(١) الأشعار : جمع شعر ؛ ما ينبت على الجسم ، والأبشار : جمع بشر ، وهو ظاهر الجلد ، وبشر جمع بشرة ، فأبشار جمع الجمع .

## إياكم والجواب

قال الشعبى : كان شريح يقول : إياكم والجواب ، فقلنا له : يا أبا أمية ، إنك لتكثر من هذا ؟

فقال : قد آن لكم أن تَسَلُونى .

تقدم إلىّ رجلان ، فأكثر علىّ أحدهما ، فقلت :

أظنك ضعيفًا ! فقال : ما على ظنك خرجت من أهلى !

فكرهت أن يجئ منه غيرُ هذا فكففت [1] عنه !

## أحد أعوانه يضحك

كان شريح فى منزل القضاء ، فنظر إلى رجل من أعوانه يضحك !

فقال: ويلك! أتضحك ، وأنا أتقلب بين الجنة والنار ؟!

● لماذا تلكأ ؟

أقام رجل شهودا عند شريح ، فاستحلفه ، فتلكأ ، فقال له : ساء ماتُثنِى على شهودك [2] !

## لماذا اعتزل القضاء؟!

انصرف شريح يوماً من مجلس القضاء ، فلقيه رجل ؛ فقال له : أما حان لك يا شيخ أن تخاف الله وتستحى ؟!

(١) إذا كان الصمت من ذهب أحيانا ، فإن أولى الناس بالصمت أولئك الذين لا يحسنون الرّد ، ولايجيدون فن الحوار .

(٢) يقصد أن تكلؤ صاحب الحق عن الحلف فيه قدح في ذمة الشهود ، لأن امتناعه عن الحلف مع استعداد الشهود لأداء الشهادة ربما كان فيه مظنة اتهامهم بالتزوير .

قال : ويلك !

قال شريح : من أى شىء ؟!

قال : كبرت سنُّك !!

وفَسَدَ ذهنُك !!

وكثر نسيانُك !!

وادّهن كاتبك «نافق وأظهر خلاف مايُبَطن» . وارتشى ابنك !

فصارت الأمور تجوز عليك !

فقال : لا والله ، لا يقوُلها لى أحد بعدك !

واعتزل القضاء ، ولزم منزلهُ [1] !

حازما حتى على نفسه ، عندما بلغه ما قد يسئ إلى سمعته ومكانته ، ومنصب القضاء فوق الشبهات !

ألا ليت العاجزين عن أداء الواجب في شرف وأمانة يعتزلون فى الوقت المناسب !

## خصومة فى هِرة

اختصم إلى شريح امرأتان فى ولد هرة ، فقال : ألقوها مع هذه فإن هى قَرّت ، ولزّت «لصقت بها ولم تهرب» واسبطَرّتْ (اضطجعت) فهى لها ! وإن هى هَرّت (صوّتت) ، وفَرّت ، وازبَأرّت «انتفشت وتهيأت للمشى» ، فليست لها !

---

(١) نثر الدرج ١٤٣/٥ ، ووردت برواية مختلفة فى عيون الأخبار ، المجلد الأول : ٦٢

## ما غدا بك ؟

رُئى شريح يجول فى الأسواق والطرق ، فقيل له : ما غدا بك ؟ فقال : عَسَيْتُ أن أنظر إلى صورةٍ حسنة [1] !

• عليك بالشريف العفيف

حين استعفى[2] شريح استشاره الحجاج فيمن يوليه، فقال شريح: عليك بالشريف العفيف «بلال بن أبى بردة» جده أبو موسى الأشعرى ، وهو قاضى عمر ، وأحد الحكمين .

والمستشار مؤتمن ، كما قالت العرب .

## قاضٍ يدافع عن نفسه

قالت امرأة لشريح : إنك قضيت عَلَىّ وظلمتنى ، والله يُدْخلك النار .

فقال لها شُريح : أمّا أنا فلا أدخلها إلا بعد سبعة: وهم : الذى علمنى ، والذى ولانى ، والذى جاء بك إلىّ ، والشاهدان ، والمزَكّيان ! «اللذان يخبران بأن الشاهدين عدلان» .

ألا فليتق الله كل أولئك ، وما الله بغافل عما يعلمون !

## قمة العدالة

قال الشعبى : كان بين عبد الله بن شريح وبين قوم خصومة، فقال : يا أبَهْ ، إن بينى ، وبين قوم خصومة !

فإن كان الحقُّ لى خاصمتُهم !

---

(١) وإذا كان الفقهاء يقولون : «لايقضى القاضى وهو غضبان » حتى لايحيد عن الحق ، فإن الجمال الذى أبدع الله الكون عليه له أثره فى اعتدال مِزاج القاضى وقد أمرنا بالنظر فى بديع خلق الله!

قال : اذكر لى قصتك ، فذكر ماله .

قال شريح : إيتنى بهم ، فلما أتاه بهم ، قضى على ابنه !

فقال له ابنه لما رجع : يا أبَهْ ؛ لو لم أخبرك بقصتى كان أعذر لك عندى ، فقال له : يا بنى أنت أعزّ علىّ من مِلء الأرض مثلهم ، والله أعز علىّ منك !

كرهت إن أخبرتُك أن القضاء عليك أن تخافهم فتصالحهم !

وأراك تقول مع شاعرنا العربى :

وإنما المرءُ حَـــديثٌ بَعْـــدَهُ

فكن حـــديثـــاً حَـــسَنًا لمن وَعَى

وسوف يظل شريح رمزا للعدالة ما بقى الدهر !

إلى جانب إياس ، والقاضى أبى يوسف ، وكل الشرفاء !

## القضاء الإدارى فى الإسلام

وقبل أن نقول : وداعا ، لابد من فكرة عن «القضاء الإدارى فى الإسلام »...

كان النبى ﷺ يتولى القضاء بنفسه ، أو يُنيب عنه فى ذلك أحدًا من صحابته رضوان الله عليهم - وكذلك فعل أبو بكر رضي الله عنه !

وخلال هذه الفترة لم يظهر القاضى المتخصص ، الذى يتفرغ لما وكل إليه ، والذى يقلّد ولاية القضاء على وجه التحديد .

وفى عهد عمر رضي الله عنه - خطا التنظيم الإدارى خطوة جريئة بظهور القاضى المتفرغ الذى لا يلى إلا القضاء ، فعهد بالقضاء

إلى ثلاثة من أهل الدين والعلم ، فجعل «أبا الدرداء» معه فى المدينة .

وبعث «شريحا» إلى «البصرة» .

وولّى «أبا موسى الأشعرى» بالكوفة .

وكتب إلى «أبى موسى» كتابًا يعتبر «دستورا فى القضاء» ودليلا إلى تحقيق العدالة .

أما الخطوة الثانية لتطور النظام القضائى فكانت بتعيين قاضٍ للقضاة فى عهد هارون الرشيد الذى قلد هذا المنصب أبا يوسف الحنفى صاحب «كتاب الخَرَاج» فكان بمثابة «القاضى الأول» ، وإليه يرجع أمر القضاة فى جميع البلاد الإسلامية أشبه ما يكون بالمفتى فى عصرنا ، أو بوزير العدل ، وكان له ديوان يعرف بديوان قاضى القضاة من أشهر عماله:

الكاتب ، والحاجب ، وعارض الأحكام .

رحم الله كل من وقف إلى جانب الحق ، ورفع لواء العدالة !

وقال الحقّ ولو على نفسه وأهله !